المحاضرة الثالثة

الامارة الصفارية (٢٥٤-٢٩٨هـ/٨٦٨-٩١١م)

اعداد :ا.د.صفوان طه حسن

ظهرت الامارة الصفارية في اقليم سجستان وهي كلمة من مقطعين سج / ستان وتعني بلاد / الجبل ، وتسمى للسهولة سيستان وتقع في الجزء الجنوبي من اقليم خراسان بين السند وفارس ، ابرز مدنها بست والطالقان .

تكمن ميّزة الاسرة الصفارية بانها اول اسرة فارسية في المشرق الاسلامي تحدت الخلافة العباسية فكثرت المناوشات بين الطرفين وكان لانشغال الخلافة بالمشكلة القريبة جغرافيا وهي تمرد الزنج ، مما شجع اهم قادتها يعقوب بن الليث الصفار الى عدم الانصياع لاوامر الخلافة وانتهى الحال بالمواجهة العسكرية فمن هو يعقوب بن الليث الصفار ؟

ينتمي الصفاريون الى عائلة فارسية تنسب نفسها الى طبقة الملوك الساسانيين الا ان الواضح ان يعقوب كان يعمل عند احد الصفارين لقاء ١٥ درهما في الشهر هكذا بدا يعقوب عاملا بسيطا لكن الظروف ساعدته كثيرا منها ظهور الخوارج وعزم اهل البلد على مقاومتهم.

انخرط يعقوب مع اقرانه بما يعرف بفرق المطوعة لقتال الخوارج ومن ابرز القادة الذي انتظم بامرته مجموعة من المطوعة رجل من بست يدعى صالح بن النظر الكناني فصحبه يعقوب وقاتل معه فابدى شجاعة ومقدرة مما جعله قائدا لجيش المتطوعة سنة ٢٤٨هـ/٨٦٤م لقتال الخوارج وتمكن من الحاق الهزيمة بهم واخرجهم من سجستان ثم زحف الى بست تحقيقه لهذه الانتصارات حققت شهرة مميزة له بين اقرانه فعظم شانه وارتفعت مكانته حتى اصبح واليا على الاقليم كما مر بنا في ولاية طاهر بن عبد الله امير خراسان وهكذا كانت سيرته حسنة عند الطاهريين حتى وفاة طاهر بن عبدالله.

كان لوفاة طاهر انعكاس سلبي للطاهريين ايجابي ليعقوب الذي استغل حداثة سن محمد بن طاهر وقلة خبرته فسيطر يعقوب على وادي كابل والسند ومكران ولم تجد محاولات محمد بن طاهر ايقافه فاستولى يعقوب على مدن هراة وبوشنج معقل الاسرة الطاهرية في سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م .

انحازت الخلافة العباسية في عهد الخليفة المعتز ٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م ، لجانب الاسرة الطاهرية لما كانت عليه من ولاء للعباسيين ومن ثم اعلنت ان يعقوب بن الليث

مغتصبا لاملاك الطاهريين ومن ثم املاك الخلافة العباسية ، الامر الذي دفع يعقوب متحديا للخلافة ان تعلن تنصيبه على المناطق التي استولى عليها ومنها مدينة كرمان حاول الخليفة ان يلهيه بامير اخر فارسل اليه تولى كرمان وفي الوقت نفسه ارسل الى امير فارس علي بن الحسين تقليده ولاية فارس .

لم تنجح هذه المحاولة فانتصر يعقوب بالقوة والحيلة ، وبعد هذا النصر طلب من الخلافة تقليده لمدينتي مكران وفارس على ان يدفع للخلافة مبلغا مقداره ١٥٠٠٠٠٠٠درها سنويا للخلافة العباسية ، ولم ينتظر الاجابة على ذلك فاستولى على فارس وارسل الهدايا للخلافة استخفافا بها .

وفي سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م) كتب الخليفة المعتمد على الله من سامراء كتاباً إلى بغداد يوضح فيه أن الخليفة لم يول يعقوب على خراسان ويأمر بلعنه أمام وفود وحجاج خراسان وينكر عليه ما فعل بالطاهرين ودخوله إلى خراسان وأسر محمد بن طاهر. ويبدو أن الخليفة وجد أن لعن يعقوب أمام وفود وحجاج خراسان هو ايصال الخبر له ولتأكيد عدم شرعيته في الولاية التي تُعد مهما لكل أمير يسعى في الحصول عليها لكي يرضي أناس وفقهاء وعلماء وتجار ولايته وأمراء دون شرعيةَ لا تعامل معه ولا أمان له.

أن سياسة تحجيم النفوذ التي اتبعتها الخلافة تجاه طموحات يعقوب بن الليث التوسعية لم تكن تلبي طموحاته الشخصية المتزايدة، فقام يعقوب بن الليث في سنة (٢٦٢هـ/٨٧٥م) بالتوجه إلى رامهرمز[*]الاهواز، متحدياً الخلافة في ذلك، مما دفع الخليفة المعتمد على الله في تغيير سياسته تجاه يعقوب الصفار وأخذ يتودد له خشية من امتداد نفوذه إلى بغداد، فأطلق الخليفة جميع ما لديه من أسرى يعقوب بن الليث الصفار واعطاءه ولاية خراسان، وطبرستان، وجرجان والري، وفارس، والشرطة في بغداد في سبيل إبعاد خطره، لكن يعقوب لم يرضَ بذلك. فيما اسندت اليه الخلافة من اعمال وبلدان، بل كان يريد مشاركة الخليفة في شؤون الحكم في

---

[*] **رامهرمز** :" وتعني رام بالفارسيّة المراد والمقصود، وهرمز أحد الأكاسرة، فكأن هذه اللفظة مركبة معناها: مقصود هرمز أو مراد هرمز، ورامهرمز اسم مختصر من رامهرمز أردشير، وهي مدينة مشهورة بنواحي الاهواز، والعامة يسمونها رامز كسلا منهم عن تتمة اللفظة بكمالها واختصارا، ورامهرمز من بين مدنه الاهواز: ينظر، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٥ م: ١٧/٣ .

العراق والاستيلاء على الاموال هناك، وكل تلك التحديات التي قام بها يعقوب بن الليث نابعاً من كونه يمتلك جيش قوي يتحدى به جيش الخلافة لذا كان يردد قول:

خراسان أحويها وأعمال فارس...وما أنا من ملك العراق بآيس.

هذا الامر أقلق الخليفة المعتمد على الله ودفعه إلى اتخاذ سياسة الحرب، وأخذ يعد العدة لمواجهة يعقوب ومنعه من الدخول إلى العراق، فجهز جيش جعل ميمنته إلى أخيه الموفق بالله وميسرته على مسرور البلخي وهو يتولى المقدمة، إذ عسكر هذا الجيش في منطقة تدعى دير العاقول[*] واشتبك مع الصفار وقواته التي لاقت الهزيمة أمام جيش الخلافة، فولى الصفار هارباً إلى جنديسابور متأثراً بجراح اصيب بها في سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م).

بعد ذلك الانتصار العباسي ومنعا للتصادم معه مرة أخرى، اتبعت الخلافة سياسة اللين وكسب الود مع يعقوب بن الليث الصفار. إذ انفذ اليه الخليفة المعتمد على الله بعد انتصاره عليه، رسولاً إلى يعقوب و معه كتاباً يستميله ويسترضيه وهو مقيم في جنديسابور مريضاً وجنبه كسرة خبز وسيفه، فسمع رسالة الرسول وقال:" **له قول للخليفة اني عليل، فأن مت فقد استرحت منك واسترحت مني وان عوفيت فليس بيني وبينه الا هذا السيف حتى اخذ بثاري أو تكسرني وافقرني عدت إلى اكل هذا الخبز والبصل** ". بعدها مات يعقوب بن الليث الصفار في جنديسابور سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م).

وجدير بالذكر أن الخلافة اتبعت في سياستها تجاه الأسر الحاكمة في ولاياتها كالطاهرين في خراسان أسلوب كسر شوكة الأسرة، ومثال على ذلك حين أقدم طاهر بن إلحسين على قطع الخطبة عن المأمون سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م)، مات بعدها مباشرةَ بحمى حارة اصابته وتوجهت أصابع الاتهام نحو الخلافة خلالها، وكذلك اتبعت الاسلوب نفسه مع الصفارين حين كسرت شوكة يعقوب بن الليث الصفار في معركة (دير العاقول) سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م) حين قصد العراق لمشاركة الخليفة المعتمد على الله مقاليد الحكم، حتى أصبح بعدها هارباً مهزوماً إلى أن مات سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م)، ويبدو أن الخلافة كان تبين للأمراء الإخوة والأبناء من بعدهم أن لا أمير في امكانه أن يتحدى الخلافة.

---

[*] **دير العاقول:** موضع يقع بين مدائن كسرى والنعمانية، ويبعد عن بغداد ثلاث فراسخ، وكانت عامرة ايام عندما كانت النهروان عامرة ويقع بالقرب منها دير قنى: ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٥٢٠/٢.

بعد هزيمة يعقوب بن الليث الصفار حين قصد العراق أمام جيش الخلافة الذي يقوده الخليفة المعتمد على الله وأخيه الموفق بالله في دير العاقول سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م) وهروبه إلى جنديسابور أقام فيها إلى أن مات سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م)، بعدها كتب عمرو بن الليث إلى الخليفة المعتمد على الله بالسمع والطاعة، فولاه اخيه الموفق على سجستان واصفهان وخراسان والسند وكرمان. فوجه الخليفة اليه رسوله أحمد بن أبي الاصبع مع الخلع من أجل تثبيت حكمه وضبط بلاده، ويبدو أن الخلافة كانت تخشى من استقلال الأسرة الصفارية في خراسان، ولهذا انفذت الخلافة أحمد بن أبي الاصبع إلى هناك من اجل تثبيت دعائم حكم عمرو بن الليث الصفار بعد وفاة يعقوب ومنعه من الاستقلال هناك، واتبعت هذا الامر مع الطاهرين سابقاً فقد انفذت الخلافة أحمد بن أبي خالد مع طلحة بن طاهر إلى خراسان ليثبت دعائم حكمه وخشيتها من استقلاله هناك.

في سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) قدم رسول عمرو بن الليث الصفار إلى الخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م) ومعه هدايا، وسأل أن يوليه خراسان، فأرسل الخليفة رسوله عيسى النوشري(*) ومعه الخلع وعقد اللواء وأمره أن ينصب الصحن واللواء في دار عمرو بن الليث الصفار ثلاثة أيام، تأكيدا أمام العامة بشرعية ولايته على خراسان، بعدها تحرك عمرو بن الليث بجيشه من خراسان إلى الري مخالف بذلك سياسة الخليفة المعتضد فزاد من غضبه وقام بعزله ولعنه أمام وفود وحجاج خراسان، ولم يلتفت الامير الصفاري لما قام به الخليفة وانما استولى على الري وجرجان وكرمان مما دفع الخليفة على قيادة الجيش بنفسه إلى هناك ومحاربة عمرو بن الليث الصفار. وهنا يتضح تذبذب العلاقة مع الخلافة العباسية، من بعد وفاة يعقوب بن الليث، إذ سرعان ما غير الامير الصفاري الجديد عمرو بن الليث سياسته تجاه الخلافة من خلال كسر إرادة الاخير في استيلائه على الري، وجرجان، وكرمان.

وهنا كان لابد للخلافة العباسية أن تواجه قوة عمرو بن الليث العسكرية بقوة عسكريةَ صلبة تستطيع الانتصار عليهم، وتكمن تلك المواجهة في أن تمنح الخلافة شرعية التقليد لأكثر

(*) **عيسى النوشري**: والي شرطة بغداد واامير دمشق، ولاه الخليفة المتوكل ذلك واستمر في ذلك في عهد ابناء المتوكل، وفي خلافة الخليفة المعتضد الى ان توفاه الاجل سنة(٢٩٧هـ/٩٠٩م): ينظر، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، (ت:٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م: ٣٤٦/٤٧.

من أمير، وهذا ما حصل عندما أعطت الخلافة رضاها في تولى عمرو بن الليث حكم ما وراء النهر، وقد ساندت في الوقت نفسه الأسرة السامانية وأعطتها الشرعية في التقليد، ففي سنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م) أقدم الخليفة المعتضد مرة أخرى على قراءة عهد تولية عمرو بن الليث الصفار على ما وراء النهر وبلخ(*) وعزل عنها اسماعيل بن أحمد الساماني. وكذلك كتب الخليفة بولاية ماوراء النهر إلى اسماعيل بن أحمد الساماني ويأمره بمحاربة عمرو بن الليث ويشجعه ويقوي قلبه على ذلك.

من المؤكد مما سبق أن الخلافة العباسية كانت تدرك تماما قوة السامانيين في أقصى الشرق بوصفهم أصحاب وَلاء وطاعة لهم، وهم يحدون الصفارين ووجدت من تولية عمرو بن الليث على بلخ وما وراء النهر وسيلة لضرب القوة الصفارية بالقوة السامانية وتكون بموقف المتفرج من ذلك وحصولها على نتائج الانتصار دون خسائر(ازدواجية التعامل لدى الخيفة العباسي المعتضد بالله).

وفي سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) قصد عمرو بن الليث الصفار بجيشه بلخ، وما وراء النهر من اجل إخضاعها له، بعد أن عهدت الى إسماعيل الساماني فكتب الاخير قائلاً له:" **إنّك قد ولّيت دنيا عريضة، وإنّما في يدي ما وراء النهر وأنا في ثغر، فاقنع بما في يدك واتركني بهذا الثغر، فأبى إجابته، فذكر له أمر نهر بلخ وشدّة عبوره فقال: لو شئت أن أسكره ببدر الأموال وأعبره لفعلت** "، ورفض الصفار عن الرجوع ودارت الحرب بينهم فزداد الخناق إلى عمرو واصحابه وقُتل عدد من قادتهِ فهربوا إلى بلخ التي لم تفتح ابوابها لهم؛ بسبب سوء معاملة عمرو وعماله لهم فقبضوا عليه اهل بلخ بحيلةَ ادخلوه وقيدوه وسلموه إلى اسماعيل بن أحمد الساماني فأرسله الاخير إلى الخليفة المعتضد في بغداد ففرح بذلك، فأرسل الخلع وعهد تولية خراسان وما وراء النهر إلى اسماعيل بن أحمد الساماني.

وبالقبض على عمرو بن الليث الصفار قد انتهى الوجود الصفاري في خراسان وزوال دولتهم آنذاك ولم يبقَ لها سوى أمراء ضُعفَاَء منشغلين باللهو والطرب والصيد وقد سيطر عليهم غلام عمرو بن الليث المعروف بسبكري، إذ قام الأخير بالقبض عليهم وارسالهم مقيدين إلى دار الخلافة من أجل حصوله على عهد تولية خراسان.

(*) **بلخ:** وهي من اشهر مدن خراسان واذكرها، واكثرها خير واوسعها غلة وتحمل غلتها وخيراتها الى خراسان وخوارزم، فتحت من قبل الامير الاحنف بن قيس في عهد الخليفة الراشي عثمان بن عفان(رضي الله عنه): ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/٤٧٩-٤٨٠.

ويبدو مما سبق أن طموحات الامير عمرو بن الليث الصفار لا تختلف عن طموحات أخيه يعقوب في تأسيس امبراطورية فارسية وجعل الفرس هم أصحاب القرار والحكم فيها، بحيث كانت تلك الطموحات تفوق سياسة الخلافة التي تهدف إلى تحجيم سيطرتهم ونفوذهم في ظل ظروف ضعف تمر بها نتيجة تدخل العناصر غير العربية في شؤونها، ولهذا كان الخليفة يقود الجيش بنفسه في حربهم وذلك لأجل تأليب العامة عليهم وتأكيدا لعدم شرعيتهم وتشتيتً لقواتهم وانحيازها إلى جيش الخلافة مثلما فعله الخليفة المعتمد على الله حين تصدى لقوات يعقوب بن الليث الصفار.

هناك جملة من الأسباب تمثلت في سقوط الدولة الصفارية سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) هي :

أولاً : استشعار الخلافة العباسية بخطورة استبداد تلك الأسرة في الحكم وتطاولها على الخلافة مما جعل الخلافة تتردد كثيراً في إعطاء التفويض والتقليد لها، مما جعل ذلك مثار ارتياب لدى أمراء الأسرة الصفارية (الامير يعقوب واخيه عمرو).

ثانيا : سياسة المواجهة العسكرية التي اتبعتها الخلافة في مواجهة الصفارين في عدة أماكن بسطو سلطانهم عليها وهي تهدف من ذلك تقليص نفوذهم وقوتهم النامية في فترات قصيرة التي كانت تسبب لهم القلق والخشية من امتداد سيطرتهم على بغداد حينما حاول يعقوب بن الليث الصفار تنفيذ ذلك، لكن الخلافة تصدت له وهزمته في دير العاقول.

ثالثا : مارست الخلافة سياستها القائمة على ضرب قوة مع قوة أخرى في أوقات ضعفها، إذ أعطت تقليد بلاد ما وراء النهر وبلخ إلى عمرو بن الليث الصفار من أجل ضربه بالقوة السامانية المتواجدة هناك والتي شجعتها في الوقت نفسه في مقاومة النفوذ الصفاري والقضاء عليه وأنها تقدم لهم المساعدة في ذلك. استطاع اسماعيل بن أحمد الساماني من صدّ الهجوم الصفاري نحوهم وأسرّ زعيمهم عمرو بن الليث الصفار وتسليمه إلى الخلافة.

رابعا : إذ تولتّ الأسرة الصفارية أمراء ضُعَفَاء بعد أسر عمرو على يد السامانيين وسيطرت غلمانهم على مقاليد الحكم ومنهم غلام عمرو بن الليث الذي يعرف بسبكري، فضلاً عن الليث بن الليث وقيام هؤلاء بتسليم الأمراء الصفارين إلى الخلافة من أجل حصولهم على شرعية التقليد.

إن ضعف الدولة الصفارية وقصر عمرها وزوالها يرجع إلى السياسة العدائية التي اتبعتها الخلافة العباسية معها واصرارها المستمر على تقليص نفوذ الصفارين، فضلاً عن قوة السامانيين

العسكرية الموالية للخلافة والتي هزمت الصفارين في عدة مواضع عسكرية منها هزيمه عمرو بن الليث الصفار وأسره على يد اسماعيل بن احمد الساماني، وما يتبع ذلك من تولي الدولة الصفارية أمراء ضُعَفَاء سيطر عليهم قوادهم متمثل بالقائد سبكري الذي كان له دور كبير في سقوط الدولة الصفارية.